الفصل الثاني

الجنّ مكلّفون

الغَـايَـة مِن خَلقهِـم

خلق الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها : (وما خَلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون) (سورة الذاريات / ٥٦) .

فالجنُّ على ذلك مكلفون بأوامر ونواهي ، فمن أطاع رضي الله عنه وأدخله الجنة ، ومن عصى وتمرد فله النار ، يدل على ذلك نصوص كثيرة .

ففي يوم القيامة يقول الله مخاطباً كَفَرَة الجن والإنس موبخاً مبكتاً : (يا معشر الجن والإنس ، ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) (سورة الأنعام / ١٣٠) ففي هذه الآيات دليل على بلوغ شرع الله الجن ، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويبلغهم .

والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى : (قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجنِّ والإنس في النار) (سورة الاعراف / ٣٨) وقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس) سورة الأعراف / ١٧٩) . وقال (لأملان جهنّم من الجنة والناس أجمعين) (سورة السجدة / ١٣) والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى :(ولمن خاف مقام ربِّه جنتان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان) (سورة الرحمن / ٤٦ ـ ٤٧) .

والخطاب هنا للجن والإنس لأن الحديث في مطلع السورة معهما وفي الآية السابقة امتنان من الله على مؤمني الجن بأنهم سيدخلون الجنة ولولا أنهم ينالون ذلك لما امتن عليهم به . يقول ابن مفلح في كتابه الفروع : (الجن مكلفون في الجملة إجماعاً ، يدخل كافرهم النار إجماعاً ، ويدخل مؤمنهم

الجنة وفاقاً لمالك والشافعي رضي الله عنهما ، لا أنهم يصيرون تراباً كالبهائم ، وإن ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافاً لأبي حنيفة ، والليث بن سعد ومن وافقهما ، قال : وظاهر الأول أنهم في الجنة كغيرهم بقدر ثوابهم ، خلافاً لمن قال لا يأكلون ولا يشربون فيها كمجاهد ، أو أنهم في ربض الجنّة ، أي حول الجنة كعمر بن عبد العزيز ، قال ابن حامد في كتابه : « الجن كالإنس في التكليف والعبادات » (لوامع الأنوار ٢ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

تكليفهم بحسبهم :

يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٤ / ٢٣٣) : « الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم ، فإنهم ليسوا مماثلين للإنس في الحدّ والحقيقة ؛ فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحدّ ، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي ، والتحليل والتحريم ، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين » .

شبهة وجوابها :

يورد بعض الناس شبهة فيقولون : أنتم تقررون أن الجن خلقوا من نار ، ثمَّ تقولون إن كافرهم يعذب في نار جهنم ، ومسترق السمع منهم يقذف بشهب من نار ، فكيف تؤثر النار فيهم وقد خلقوا منها ؟

والجواب أنَّ الأصل الذي خلقوا منه النار ، أمّا بعد خلقهم فليسوا كذلك ، إذ أصبحوا خلقاً مخالفاً للنار ، يوضح هذا أن الإنسان خلق من تراب ، ثم بعد إيجاده أصبح مخالفاً للتراب ، ولو ضربت إنساناً بقطعة مشوية من الطين فقد تقتله ولو رميته بالتراب لآذاه ، ولو دفنته فيه فإنه يختنق ، فمع أنه من تراب إلا أن التراب يؤذيه ، فكذلك الجن .

لا نسب بين الجن ورب العزة :

هذا الذي ذكرناه من أن الجن خلق من خلق الله ، وعباد من جملة عباده ،

خلقهم لطاعته ، وكلفهم بشرعته ، يقضي على الخرافات التي تنشأ عن الانحراف في التصور ، وعن ضمور العلم وكثرة الجهل ، فمن ذلك ما شاع عند اليهود ومشركي العرب ، من أن الله ـ تعالى وتقدس ـ خطب من سروات الجنِّ وتزوج منهم ، وكان الملائكة ثمرة هذا الزواج ، وقد حكى الله هذه الخرافة وبين بطلانها (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ، سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين) (سورة الصافات ١٥٨ ـ ١٦٠) قال ابن كثير عند تفسير هذه الآيات : (قال مجاهد : قال المشركون : الملائكة بنات الله ـ تعالى عما يقولون ـ فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فمن أمهاتهنَّ ؟ قالوا : بنات سروات الجنِّ ، وبمثل قول مجاهد قال قتادة وابن زيد . . . وقال العوفي عن ابن عباس : « زعم أعداء الله أنّه ـ تبارك وتعالى ـ هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » .

كيف يبلَّغون وحي الله إليهم ؟

بما أنهم مكلفون فلا بدَّ أن يبلغهم الله وحيه ويقيم عليهم الحجة ، فكيف حصل ذلك ؟ هل لهم رسل منهم كما للبشر رسل منهم ، أم أن رسلهم هم رسل البشر ؟ .

إن قوله تعالى : (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ... ؟) (سورة الأنعام / ١٣٠) يَدلُّ على أن الله أرسل إليهم رسلاً ، ولكنها لم تصرح بأن هؤلاء الرسل من الجن أو من الإنس ؛ لأن قوله (منكم) يحتمل كلا الأمرين ؛ فقد يكون المراد أن رسل كل جنس منهم ، وقد يراد أن رسل الإنس والجن من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهم الإنس . وقد اختلف العلماء في ذلك على قولين ، الأول : أن للجن رسلا منهم ، وممن قال بهذا القول الضحاك ، وقال ابن الجوزي : وهو ظاهر الكلام . وقال ابن حزم لم يبعث إلى الجن نبي من الإنس البتَّة قبل محمد ﷺ .

الثاني : أن رسل الجن من الإنس قال السيوطي في (لقط المرجان) : (جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنّه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي كذا روي عن ابن عباس ومجاهد والكلبي وأبي عبيد) .

(لوامع الأنوار ٢ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤)

ومما يرجح أن رسل الإنس هم رسل الجن قول الجن عند سماع القرآن : (إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) (سورة الأحقاف / ٣٠) ولكنه ليس نصاً في المسألة .

وهذه المسألة لا يبنى عليها عمل ، وليس فيها نص قاطع ، ولذلك لا ينبغي أن نطيل فيها أكثر من ذلك .

عموم رسالة محمد ـ ﷺ ـ الإنس والجن :

محمد ـ ﷺ ـ مرسل إلى الجنّ والإنس ، يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ١٩ / ٩):(وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين ، وسائر طوائف المسلمين : أهل السنة والجماعة ، وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين) يدل على ذلك تحدي القرآن الجن والإنس .

(قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (سورة الاسراء/٨٨) . وقد سارع فريق من الجن إلى الإيمان عندما استمعوا القرآن (قل أوحي إليَّ أنّه استمع نفر من الجنّ ، فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجباً ، يهدي إلى الرشد فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحداً . . .) (سورة الجن/١ ـ ٢) .

وهؤلاء الذين استمعوا القرآن وآمنوا هم المذكورون في سورة الأحقاف : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا : أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا : يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ،

يا قومنا أجيبوا داعي الله ، وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلال مبين) (سورة الأحقاف / ٢٩ ـ ٣٢) استمعوا للقرآن ، وآمنوا به ، ورجعوا دعاة يدعون قومهم إلى التوحيد والإيمان ، ويبشرونهم وينذرونهم .

وقصة هؤلاء الذين استمعوا للرسول ـ ﷺ ـ يرويها البخاري ومسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « انطلق رسول الله ـ ﷺ ـ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء .. ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن ـ قالوا : استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به .

وأنزل الله على نبيّه (قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن) (سورة الجن / ١) وإنما أوحي إليه قول الجن .

وفود الجن :

تلك كانت بداية معرفة الجنّ برسالة محمد ﷺ ، استمعوا لقراءة القرآن بدون علم الرسول ﷺ ، فآمن فريق منهم وانطلقوا دعاة هداة .

ثمّ جاءت وفود الجنّ بعد ذلك تتلقى العلم من الرسول ﷺ ،

وأعطاهم الرسول ـ ﷺ ـ من وقته ، وعلمهم مما علمه الله ، وقرأ عليهم القرآن ، وبلغهم خبر السماء ... وكان ذلك في مكة قبل الهجرة ؛ روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن علقمة قال : قلت لعبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: هل صحب رسول الله ـ ﷺ ـ ليلة الجنِّ منكم أحد ؟ فقال : ما صحبه منا أحد ، ولكنّا فقدناه ذات ليلة بمكة ، فقلنا : اغتيل ؟ استطير ؟ ما فعل ؟ قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما كان وجه الصبح ـ أو قال ـ في السحر إذا نحن به يجيء من قبل حراء ، فقلنا يا رسول الله ، فذكروا له الذي كانوا فيه ، فقال : « إنَّه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم » قال : فانطلق ، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وفي رواية عن الطبري عن ابن مسعود : « بتُّ الليلة أقرأ على الجنِّ واقفاً بالحجون » .

ومما قرأه عليهم ـ ﷺ ـ سورة الرحمن ، يقول ﷺ : « لقد قرأتها (يعني سورة الرحمن) على الجنِّ ليلة الجن ، فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله : (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد » رواه البزار والحاكم وابن جرير بإسناد صحيح (الجامع الصحيح ١ / ٣٠) .

ولم تكن تلك الليلة هي الليلة الوحيدة بل تكرر لقاؤه ـ ﷺ ـ بالجنّ بعد ذلك ، وقد ساق ابن كثير في تفسير سورة الأحقاف ـ الأحاديث التي وردت بشأن اجتماعه ﷺ بالجن ، وفي بعضها أن ابن مسعود كان قريباً من الرسول ـ ﷺ ـ في إحدى تلك الليالي .

ـ وقد ورد في بعض الروايات في صحيح البخاري أن بعض الجن الذين أتوه كانوا من ناحية من نواحي اليمن من مكان يسمى (نصيبين) ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « أتاني وفد نصيبين ـ ونعم الجن ـ فسألوني الزاد ، فدعوت الله لهم ألا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاماً » .

دعوتهم للإنس :

وفي بعض الأحاديث الصحاح أنَّ بعض الجن كان له دور في هداية الإنس ، ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب سأل رجلا كان كاهناً في الجاهلية عن أعجب ما جاءته به جنيته . قال : « بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت :

ألم تـــر الجـــنَّ وإبْلاسهـــــا ويَأْسهـــا بعـــد إنْكاسهـــــا
ولحقوها بالقلاص وأحْلاسها[1]

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ صدق ، بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل ، فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه ، يقول : يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول : لا إله إلا الله ، قال : فوثب القوم ، فقلت : لا أبرح حتى أعلم علم ما وراء هذا ، ثم نادى : يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله ، فقمت فما نشبنا أن قيل هذا نبي » .

قال ابن كثير في تفسير سورة الأحقاف بعد أن ساق هذا الحديث : « هذا سياق البخاري ، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ، ثم قال : وظاهر هذه الرواية يوهم أن عمر ـ رضي الله عنه ـ بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح ، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه ، وسائر الروايات تدل على أن الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه ، والله أعلم ، ثم قال : وهذا الرجل (الكاهن) هو سواد بن قارب » .

أمرهم بالخير وشهادتهم للمسلم :

سيأتي الحديث الذي يخبر فيه الرسول ـ ﷺ ـ بأن قرينه من الجن أسلم

---

(١) الإبلاس : اليأس ، والحزن ، والانكسار . والأنكاس : الضعف ، والهوان ؛ والقلاص : جمع قلوص ، وهي الناقة الشابة ، والحلس : ما يوضع فوق ظهر الدابة كالسرج .

فلا يأمره إلا بخير .

وقد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه لأبي صعصعة الأنصاري : (إني أراك تحب البادية والغنم ، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء ، فإنّه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌّ ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة) ، قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ (رواه البخاري) . فقد أخبر أن الجن يشهدون يوم القيامة لمن يسمعون صوت أذانه .

مراتبهم في الصلاح والفساد :

وهم في هذا طوائف : فمنهم الكامل في الاستقامة والطيبة وعمل الخير ، ومنهم من هو دون ذلك ، ومنهم البله المغفلون ، ومنهم الكفرة ، وهم الكثرة الكاثرة ، يقول الله سبحانه في حكايته عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن : (وأنا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك كنّا طرائق قِدَدا) (سورة الجن / ١١) ، أي منهم الكاملون في الصلاح ؛ ومنهم أقل صلاحاً ، فهم مذاهب مختلفة كما هو حال البشر .

ويقول الله عنهم : (وأنا منا المسلمون ، ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ، وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبـاً) (سورة الجن ١٤ ـ ١٥) ، أي أن منهم المسلمين ، والظالمين أنفسهم بالكفر ، فمن أسلم منهم فقد قصد الهدى بعمله ، ومن ظلم نفسه فهو حطب جهنم .

طبيعة الشيطان :

أعطى الله الجن القدرة على الإيمان والكفر ، ولذلك كان الشيطان عابداً مع الملائكة ثم كفر .

فلما تحول إلى الكفر ورضي به أصبح محباً للشر طالباً له ، يتلذذ بفعله والدعوة إليه ، ويحرص عليه بمقتضى خبث نفسه ، وإن كان موجباً لعذابه .

(قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين) . (سورة ص/ ٨٢ ، ٨٣) .

وهذا يكون في الإنسان ، فالإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ، ويلتذ به ، بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله ، وحسبك أن تتأمل في حال شارب الخمر والدخان ، فإن هذين يقتلان شاربيهما ، ويفتكان بهما ، ولا يستطيعان منهما خلاصاً إلا بشق الأنفس .

هل يسلم الشيطان ؟

يظهر من الحديث[1] أن الشيطان يمكن أن يسلم بدليل أن شيطان الرسول ـ ﷺ ـ أسلم ، إلا أن بعض العلماء يرفض ذلك ويقول الشيطان لا يكون مؤمناً ، منهم شارح الطحاوية (ص ٤٣٩) ووجه قوله : (فأسلم) أي فانقاد واستسلم .

وبعض العلماء يرى أن الرواية (فأسلمُ) برفع الميم ، أي فأنا أسلمُ منه ، ومع أن شارح الطحاوية يرى أنّ رواية الرفع تحريف للفظ إلا أن النووي في شرحه على مسلم قال : « هما روايتان مشهورتان » وعزى إلى الخطابي أنّه رجح رواية الضم .

وممن يرى أن الشيطان يمكن أن يسلم ابن حبان ، قال معلقاً على الحديث : (في هذا الخبر دليل على أن شيطان المصطفى ـ ﷺ ـ أسلم حتى أنّه لم يكن يأمره إلا بخير ، إلا أنّه كان يسلم منه وإن كان كافراً) .

وما ذهب إليه شارح الطحاوية من أنَّ الشيطان لا يكون إلا كافراً فيه نظر ، فإن كان يرى أن الشيطان لا يطلق إلا على كافر الجن فهذا صحيح ، وإن كان يرى أن الشيطان لا يمكن أن يتحول إلى الإسلام فهو بعيد جدّا ، والحديث حجّة عليه .

---

(١) سيأتي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يخبر فيه أن الله أعانه على شيطانه فأسلم فلا يأمره إلا بخير ، انظر ص (٦٥)